

الآزمات الإيكولوجية في الفكر الغربي المعاصر مقارنة بين أولريش

بيك وأنطوني غيدنز

**Ecological Crises An Approach in Contemporary
Western Thought between Ulrich beck and Anthony
giddens**

سميرة مزعاش

جامعة قسنطينة-02- عبد الحميد مهري

samira.mezache@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 2025/07/04

تاريخ الاستلام: 2023/12/12

ملخص: أيقض أولريش بيك 1944-2015 Ulrich Beck الوعي العالمي بتصريح: نحن نعيش في عصر المخاطر والآزمات منذ ولادة مؤلفه الموسوم بـ: "مجتمع المخاطرة": المنبعثة من فوهة التنوير الحدائي الغربي والمنعكسة على المجتمع الإنساني. ينظر أولريش بيك إلى الآزمات الإيكولوجية بوصفها أهم وأخطر المخاطر التي عرفت البشرية، بناء عليه أدى الوعي السياسي كما الاجتماعي للمخاطر الإيكولوجية إلى ولادة شعور القلق؛ قلق من الآزمات البيئية وقلق من كيفية تحقيق أواصر التضامن بين مختلف الهويات والثقافات العالمية للتقليل من حدتها، خصوصا وأن العالم محكوم بالإختلافات الثقافية، مما قد يؤدي إلى بؤر صراعات وآزمات عالمية أو إلى إبرام عقد اجتماعي جديد كما اصطلح عليه أولريش بيك بـ: "التنوير الثاني" نسعى في دراستنا هذه إلى محاولة توضيح موقف أولريش بيك من فكرة التنوير الإيكولوجي ومحاولة الإلمام بمظاهر

الصراعات الثقافية ووافق المواطنة العالمية اعتمادا على أهم كتبه والتي نذكر منها: "مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود" و " الحب عن بعد أنماط حياتية في عصر العولمة" و "العولمة البيئية" وغيرها من المؤلفات الأخرى، وذلك باتباع المنهج التحليلي في تحليل موقف أولريش بيك من فكرة التنوير الإيكولوجي

الكلمات المفتاحية: الأزمة. الإيكولوجية.، أولريش بيك. أنطوني غيدنز.، الحداثة. المجتمع.، السياسة.

Summary

This summary aims to clarify how beck and giddens conceptualise environment c

, highlighting their sociological approaches to climate risks, of modernity. The analysis adopts a -not opposites-as products comparative and and analytical method based on a critical reading of key words, particulary beck,s RISK SOCIEY and . Giddens

The core problem centers on the individual, the state, and globalization within the context of second modernity§. beck argues that contemporary societies now produce their own risks, calling for a rethinking of security and justice. Giddens , on the hand, emphasiz the need for proactive, institutional policies other driven by engaged democracies, both perspectives converge in them at their call to politicize environomental issues and embed the heart of public politic.

Keywords:; Ecological crises;; Ulrich Beck; ,Anthony Giddens. , Modernity, society, politics

أولاً. مقدمة:

نهدف في هذا المقال إلى إجراء مقارنة سوسيوفلسفية بين أولريش بيك وأنطوني غيدنز 1938 Anthony Giddens حول مشكلة من أهم المشكلات الراهنة.. وتأتي هذه المقاربة بين هذين المفكرين نظراً لأن أنطوني غيدنز من أهم أتباع وقراء ومطوري فلسفة أولريش بيك والمهتمين بفكرة نقد الحداثة، ثقفيءة وأيضاً في إطار النقاشات الدائرة حول الأزمات الإيكولوجية وانعكاساتها على المجتمع الإنساني في عصر العولمة. وقد اتخذت المشكلة الإيكولوجية علاقات وتشابكات مع المجتمع الإنساني وغيرت بنيته إلى "مجتمع مخاطر عالي". والذي شهدنا معه تجربة فقدان الأمان في إطار استمرارية سيرورة التحديث الغربي للوسائل العلمية والتقنية، ما نتج عنه من تحولات اجتماعية اقتصادية وإيكولوجية وحتى أمنية. ويعود كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز إلى الحداثة الغربية بتقديمها العلمي والتقني كمسؤول رئيسي عن هذه الأزمات والمخاطر الإيكولوجية العالمية؛ رغبة منهما في كشف لحظة انكسار الثقة بالعقل الحداثي.

يقراً أولريش بيك وأنطوني غيدنز الأزمات الإيكولوجية كحداثة إنعكاسية؛ تعود إلى اتباع منجزات الحداثة الغربية وتفاقم تقدمها العلمي اللامبالي بإنعكاساته على المجتمع الإنساني ككل، ولقد أعاد أولريش بيك وأنطوني غيدنز النظر في العلاقة بين الطبيعة والإنسان والمجتمع بأبعاد تحليلية فلسفية واجتماعية مؤكدين على أن كل ما يمس الطبيعة يمس المجتمع الإنساني.

نظرا إلى أن الأزمات الإيكولوجية اتخذت أهمية واسعة في الفترة المعاصرة والراهنة، والتي جعلت أغلب الدراسات الفلسفية والاجتماعية تسلط الضوء على قراءة مخاطرها. اهتم بالمشكلة الإيكولوجية أنطوني غيدنز في مؤلفه الشهير: "بعيدا عن اليسار واليمين" والذي قدم فيه موقفه من المشكلة البيئية مقارنة مع أولريش بيك.

إن الجديد في دراسات أولريش بيك وأنطوني غيدنز يدور حول إبراز مظاهر "مجتمع الخطر العالمي الإيكولوجي"؛ أو النجاح في إثارة الشعور "بعدم الأمان الإيكولوجي" في نفوس ووعي الناس. ما دفعنا إلى مقارنة موقف أولريش بيك وأنطوني غيدنز من المشكلة البيئية معتمدين على أهم ما كتب في هذا الموضوع. بولقد اعتمدنا على أهم اليات المنهج المقارن والمنهج التحليلي، رغبة منا في الإجابة عن الإشكال التالي: كيف تعيد الأزمات الإيكولوجية تشكيل العلاقة بين المجتمع، والدولة والعملة في الحداثة الإنعكاسية؟

ثانيا. مظاهر فقدان الأمان الإيكولوجي

ناقش أنطوني غيدنز في مؤلفه الموسوم ب: "بعيدا عن اليمين واليسار" الفروق ذات الدلالة المفاهيمية بين: البيئة، الطبيعة، والإيكولوجيا، وهي المفاهيم التي رفض أولريش بيك الخوض فيها، ولعل سعي أنطوني غيدنز إلى هذه المقاربات كان لحاجة استخراج الإستعمال الراهن للكيفية التي يتم التعامل بها مع مشكلات الطبيعة في عصر العملة. إذ احتفظ بمصطلح الطبيعة في سياق الحديث عن النقاشات الأخلاقية والمقاربات السياسية. أما أولريش بيك فاستمر في مهمته النقدية للحداثة الغربية باستخدام مصطلح

الايكولوجيا كمصطلح ملائم للتعبير عن أزمات ومخاطر تعيشها الإنسانية في مجتمعاتنا الراهنة. ويعود أصلها إلى عملية التحديث ذو الدلالة السلبية في تصنيف غيدنز وانعكاسي بمصطلح أولريش بيك.

يظهر اهتمام كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز منذ البداية بابرار الرابط وثيق الصلة بين الأزمات الإيكولوجية والمجتمع الإنساني الذي تمت عملية إعادة تشكيلة في الفترة المعاصرة. والذي فرض التأمل في الإنعكاسات الاجتماعية للأزمات والمخاطر الإيكولوجية على مفهوم المجتمع في حد ذاته وعلى علاقة الإنسان بالطبيعة وعلى صحة الإنسان ومسكنه وغدائه...الخ.

ولطالما أكد أولريش بيك أن المخاطر والأزمات العالمية الراهنة بعيدة عن الأيديولوجيا الدينية والمذاهب الفلسفية والفكرية والأحزاب السياسية مثله تماماً اتجه أنطوني غيدنز في مؤلفه: "بعيدا عن اليمين واليسار" مؤكداً في هذا السياق استقلالية الأزمات الإيكولوجية عن اليمين واليسار، فالغذاء الفكري لأنطوني غيدنز كان من خلال قراءاته لأفكار أولريش بيك حول الأزمات الإيكولوجية، ويظهر ذلك بإعتراف صريح منه في كتابه: "بعيدا عن اليمين واليسار"؛ إذ استلهم من أولريش بيك نظريته للطبيعة القابلة للتأويل وفقاً لمتغيرات مجتمعنا الحالي مجتمع المخاطر والأزمات والسلبيات وانعكاساتها التي تتغلغل في قلب كل مكان وزمان. نبحث في هذا العنصر عن إجابة لإشكال نصوغه على النحو الآتي: ما دور الحداثة في الأزمات الإيكولوجية؟

1. علاقة الأزمات الإيكولوجية بالحداثة:

يجيب أولريش بيك وأنطوني غيدنز عن السبب الرئيسي الذي أدى إلى تغييب علاقة الإنسان بالطبيعة في موجة التحديث الغربي. إذ يطرح كل منهما

المشكلة البيئية في سياق عملية التحديث الغربي وتناقضات وتحديات العولمة الواسعة الأثر أي الشاملة لكل المجالات الاجتماعية السياسية والأخلاقية...¹، والتي تفرض حسب غيدنز السيطرة على الطبيعة بتنمية النشاط الاقتصادي²، وهو ما غيب العلاقة بين الطبيعة والإنسان وأزاح مكانتها لصالح المنجزات العلمية والتقنية والاقتصادية المتحررة من القيود الأخلاقية اتجاه الطبيعة. يرى غيدنز أنه في ظل التحرر من التقليد والقيم تنتج المخاطر والأزمات ويبدأ الوعي بها في التشكل، يقول أنطوني غيدنز في هذا الصدد: "يبدأ البعض بفقدان الثقة في العلم وفي التراجع عن الصناعة الحديثة. غير أن العلم والتقانة هما الوسيلة الوحيدة التي كشفت عما يسببانه من إفساد".³، إذ يرجع أنطوني غيدنز المخاطر والأزمات الإيكولوجية إلى التقدم العلمي والتقني والصناعة الحديثة ما نتج عنه فقدان للثقة في منجزات الحداثة. وقد تبنى أولريش بيك الموقف ذاته في كتاب: "مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود" موقفا معاديا من العلم والتقنية الحديث التي أدت إلى أزمات إيكولوجية حيث يقول في هذا الصدد ما نصه: "لقد تسبب هذا الانتصار للحداثة في إهيار قناعة كانت سارية بشكل بديهي حتى ذلك الحين تلك التي تفيد بأن هناك حدا تقنيا لكل أشكال القسوة التي يقدر عليها البشر"⁴؛ فضياع الثقة في انتصارات الحداثة لم يكن صدفة بل نتيجة لما الت إليه

أنطوني غيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية، شوقي جلال، عالم¹ المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002، ص 251.

المصدر نفسه، الصفحة نفسها.²

أنطوني غيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية، مصدر سابق، ص 253.³
أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود، حسن، علا عادل، هند إبراهيم⁴ بسنت، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2006، ص 391.

البشرية اليوم من العيش في جو المخاطر والأزمات ومنه يكون وصف ما تنتجه الحداثة بـ "التقدم" ما هو إلا حكم أخلاقي في وصف أنطوني غيدنز.

حسب منطلق كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز المصدر الرئيسي للأزمات الإيكولوجية التي نعيشها اليوم ترجع بالدرجة الأولى إلى التقدم العلمي والتقني للعقل الحديث ، فالعقلانية بهذا المعنى وضعتنا في مواجهة مع مخاطر وأزمات خطيرة وعالمية يصعب التحكم بها أو التنبؤ بها يؤكد غيدنز على هذه الفكرة بقوله: " كيف يمكن لأي إنسان أن يعرف الآثار المترتبة على عملية بذاتها أو مجموعة من العناصر الكيميائية في كوكب الأرض أو في أجسام البشر على مدى ثلاثين عاما مقبلة، أو عدة أجيال قادمة؟ "⁵، ينبه أنطوني غيدنز إلى صعوبة الإلمام واكتشاف الآثار السلبية للمخاطر الإيكولوجية ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى طابعها العولمي الواسع النطاق وإلى طبيعة المشكلات الصحية التي فيها ما يظهر انيا ومنها ما يتجلى على مدى بعيد.

يعيد كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز إحياء العلاقة بين الطبيعة والمجتمع؛ ففي اعتقادهما أن المشكلات الإيكولوجية لا تمس المجال البيئي لوحده بل تنعكس على المجتمع بكل ما يحتويه، مما يوضح لنا حسب غيدنز إنقلاب العلاقة من سيطرة الإنسان على الطبيعة إلى سيطرة الأزمات الطبيعية على الإنسان ويقول غيدنز في هذا الصدد ما نصه: " وطبعي أن هذا لا يعني أن الطبيعة خضعت بالكامل لسيطرة الإنسان. إذ واضح أن حدود هذه السيطرة تفضحها الإخفاقات التي أملت بمحاولات توسيع نطاق السيطرة على نحو غير محدود. "⁶؛ ويقصد غيدنز هنا أن الأزمات الإيكولوجية العالمية قد وسعت

المصدر نفسه، الصفحة نفسها.⁵

أنطوني غيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية، مصدر سابق، ص 256.⁶

مجال سيطرتها إذ أصبحت عابرة للدول وللحدود وللأمم والثقافات والمجتمعات فهي كما وصفها أولريش بيك مخاطر شاملة. فهذا الطابع الشمولي للمخاطر الإيكولوجية جعلنا نشهد على أهم تحول في موازين السيطرة.⁷ إذن ندرك مع أنطوني غيدنز وأولريش بيك أنه لا يمكن بأي شكل وقف تأثيرات وانعكاسات الأزمات الإيكولوجية إذ يؤكد غيدنز على هذه الفكرة بقوله: "ونعرف أنه ليس بوسعنا التخلص من الحضارة العلمية- التقنية مهما كان ما تثيره من حنين أخضر. إن العيش في حقبة المخاطرة المصنوعة يعني مواجهة واقع أن الآثار الجانبية للإبتكارات التقنية لم تعد اثارا جانبية"⁸؛ اتفقنا في فهم أن المخاطر الإيكولوجية من منظور أولريش بيك وأنطوني غيدنز ليست بالصدفة بل هي من صنع الحداثة العلمية والتقنية.

2. سوسيولوجيا الأزمات الإيكولوجية:

إن الأزمات الإيكولوجية لا تبقى حبيسة النطاق الإيكولوجي إذ تتعداه لتشمل البيئة الاجتماعية بالإضافة إلى عدم القدرة على السيطرة عليها باعتبارها مخاطر كونية. يضيف غيدنز أن اثارها أو انعكاساتها لم تعد اثارا جانبية يمكن تجاهلها أو تفاديهما، بل تفرض ضرورة الإهتمام بها وبحث مخاطرها التي تمس السياسة والمجتمع الإنساني.⁹، ويوضح أنطوني غيدنز موقفه الصريح من العلاقة الترابطية بين الطبيعة والمجتمع من خلال الآثار الصحية المنعكسة على الإنسان حيث يقول: "إن العوامل البيئية يمكن أن تكون ذات سطوة تماثل الأمراض الفتاكة الرئيسية من حيث أسباب الإصابة بها وكذلك مدى

⁷ أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 391.

⁸ المصدر نفسه، ص 257.

⁹ أنطوني غيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية، مصدر سابق، ص 258.

اتساع نطاقها.¹⁰ يظهر هاهنا مدى اهتمام أنطوني غيدنز بالجانب الصحي للإنسان والذي يعبر عن الإهتمام ذاته عند أولريش بيك الذي تحدث عن الإنعكاسات الصحية للأزمات الإيكولوجية التي قد تظهر في شكل أمراض جلدية أو تنفسية على المدى القريب أو البعيد، أو في شكل تسمم غذائي...¹¹ بسبب المواد الكيماوية في الزراعة، والتخلص من النفايات، والبالوعات...¹² إن المخاطر التي تنعكس على جسد الإنسان لم تقف عند مأكله وهوائه بل تشمل حتى العمران البشري؛¹³ وهو الحيز البيئي الذي يحيا فيه الإنسان ويمارس نشاطه اليومي. ولقد استطاعت الأزمات الإيكولوجية سحبه والتأثير عليه بالسلب بموجب مخلفات التصنيع كالدخان النابع من المصانع المحاذاة للمنشآت العمرانية أو بسبب بنية العمران القابلة للتأثر بالمخاطر الإيكولوجية، وهو ما يثير المشكلة الديموغرافية وإثارة نقطة أخرى لا تقل أهمية عن هذه النقاط ألا وهي علاقة الأزمات الإيكولوجية بالإقتصاد المعولم؛ إذ يجمع كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز على أهمية العامل الإقتصادي الكبيرة في تفاقم حدة الأزمات الإيكولوجية، ذلك لرغبته في التقدم العلمي والتقني والنجاح الإقتصادي دون مراعاة للمجال البيئي كما يتفقان كونه ليس العامل الوحيد المتسبب فيها.

المصدر نفسه، ص 272.¹⁰

أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 16.¹¹
 أنطوني غيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية، مصدر سابق، ص 272.¹²

أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 161.¹³

وسواء بحثنا علاقة الطبيعة بالمجتمع الإنساني من حيث المجال الصحي أو العمراني أو الإقتصادي فإنها جميعها تجسيد للحظة فقدان الأمان في الحداثة الإنعكاسية المتميزة بالأزمات والمخاطر الغير قابلة للتنبؤ.

تصبح المخاطر والأزمات الإيكولوجية غير قابلة للتنبؤ مثار نقاشات مفتوحة وتأويلات متضاربة في الوعي الثقافي الاجتماعي، إذ يسمح الطابع المرن لها بفهم مختلف أسبابها. يغدو من خلال هذا الإنفتاح في الفهم بؤرة صراعات ثقافية عالمية¹⁴ تفرق البشر فيحتمد الصراع بين الثقافات وتثار الأسئلة والبحث عن المسؤول عن تدمير الأمن الإيكولوجي، فينشطر العالم إلى قسمين: قسم متسببين وقسم الضحايا في هذا المقام يحدد أولريش بيك الوضع العالمي بأنه سيؤول إلى ما اصطلح على تسميته ب: " صراع ثقافات المخاطرة " بدلا من " صدام الحضارات " الديني لصمويل هنتنغتون، وبهذا يتجاوز أولريش بيك هذه المنظورات المحدودة التي لا تتلاءم والطابع المفتوح للأزمات الإيكولوجية إذ تنسم بميزات تجردها من الأيديولوجية الدينية، والثقافية والسياسية...

ثالثا. الطابع العولمي للأزمات الإيكولوجية .

لقد سار أنطوني غيدنز على نهج أولريش بيك الفكري في الإقرار بفشل الحداثة الأولى في توفير الأمان الإيكولوجي ، بتقديمها العلمي التقني الأعلى عن تبعاته وانعكاساته الخطيرة على المجتمع الإنساني العالمي ، ومنه تأخذ صفة "العولمة" النقطة الرئيسة التي من خلالها وفقط يمكن فهم الأزمات الإيكولوجية في الحداثة الإنعكاسية أو التحديث السلبي كما يسميه غيدنز.

¹⁴ أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 37.

ننوه هاهنا أن الطابع العولمي لا يعني الإلقاء بالإنسانية في الصدفة بقدر ما يسعى إلى الوقوف على أهم التحولات التي شهدتها المجتمع الإنساني بفعل عولمة الأزمات الأيكولوجية، ونجد في مقدمتها تجاوز الزمكان ، وإلغاء الحدود الاجتماعية والسياسية، وإعادة صياغة موازين العدالة وبناء علاقات اجتماعية وبين دولية جديدة.

يوضح أولريش بيك وأنطوني غيدنز أن أهم مظهر أو مرحلة تؤكد فقدان الأمان الأيكولوجي تتجلى من خلال الطابع العولمي للأزمات الأيكولوجية، العابرة لجميع الحدود الاجتماعية والثقافية والسياسية ...، إعتد على فكرة " العولمة " كبعد رئيسي تقلص من خلاله ثقة المواطن الحديث بعود الحداثة الأولى ويتشكل وعي جديد بالأزمات الأيكولوجية التي تهدد البشرية في الحاضر والمستقبل.

إن إعلان " موت المسافة " -كما يحب أولريش بيك نعت ظاهرة العولمة به - يمثل نعي للمجتمع الحديث وولادة مجتمع جديد يسميه ب " مجتمع المخاطر العالمي الأيكولوجي" والذي يتميز بالتجاوز وعدم القدرة على التحكم والتنبؤ والإدارة والمعرفة.

نعمل في هذا العنصر على توضيح الطابع العولمي للأزمات الأيكولوجية وأهم القضايا والإشكالات التي يثيرها. اعتمادا على موقف أولريش بيك وأنطوني غيدنز دائما للإجابة عن الإشكال التالي: كيف يمكننا تمييز الطابع العولمي للأزمات الأيكولوجية؟

1. خصائص الأزمات الأيكولوجية العالمية:

إن مختلف الأزمات البيئية التي شهدتها الإنسانية سواء كانت زلازل أو براكين أو فياضانات... إرتبطت بحيز مكاني وزماني ما أي أنها معروفة الشدة وحجم الخطر والأسباب، في حين نتحدث اليوم عن أزمات إيكولوجية تجاوزت لحظات الزمان وحدود المكان وقدرة الدول واستيعاب المجتمع الإنساني بسبب عدم إمكانية التحديد داخل الزمان والمكان¹⁵ على عكس زمن ومكان الحادثة الأولى بوصفها حادثة زمانية مع هيغل وغيره؛ كلحظة تاريخية لها بداية ونهاية ففي الحادثة الإنعكاسية يفقد الزمان والمكان قيمتهما أو يتعرضان لحالة السيولة بتعبير زيجمونت باومان Zygmunt Bauman 1925-2017؛ إن الطابع المرن للمخاطر الإيكولوجية زمانيا يمكن فهمه من خلال تأثير الأزمات الإيكولوجية على نطاق عالمي إذ تتمدد تأثيرات وإنعكاسات الأزمات الإيكولوجية شاملة مختلف الأزمنة والأمكنة؛ فتأثير الإحتباس الحراري أو كارثة تغير المناخ تضم العالم بأسره ولا تفرق في تأثيرها بين دولة دون أخرى أو مجتمع دون آخر أو ثقافة معينة دون غيرها¹⁶، ويمكننا أيضا فهم اللازمكانية هذه من خلال إفلات الأزمات الإيكولوجية من التحدد؛ إذ يعجز العلم والسياسة في تحديد موقع ثابت لهذا النوع من المخاطر العالمية والسيطرة عليها. ليكون بذلك أهم مظهر يعبر عن عبور الحادثة الأولى هو تجاوزها للزمان والمكان إذ تفتح الأزمات الإيكولوجية حدود الحادثة على أحداث العالم ومشكلاته، علما أن الطابع العولمي للأزمات الإيكولوجية لا يؤثر على زمكانية الحادثة فحسب بل يكسر ثقة الإنسان الحديث في العقلانية الغربية ويخلق إنسان جديد يشك ويتساءل عن حاضره ومصيره ومصدر أمانه، ومجتمع جديد منفتح الحدود واعي يسمح

أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 267.¹⁵

المصدر نفسه، ص 29.¹⁶

له هذا الوعي بقطع الصلة مع المجتمع الحديث من حيث الثقة والإيمان بتنويره الزائف مستوعبا العيش في خطر عالمي إيكولوجي راهن.

و الاهتمام بمظاهر فقدان الأمان الإيكولوجي تدفعنا للبحث عن أهم الميزات التي تطبع الازمات الإيكولوجية والتي أكدت على فقدان العالم لأمانه الإيكولوجي وجعله باحثا عن سبل جديدة للتعايش. ففي هذا المقام يقر أولريش بيك بأن المخاطر الإيكولوجية حاملة لبعدين أو مظهرين: مظهر سلبي ومظهر إيجابي؛ إذ يفهم المظهر السلبي لها من خلال تبيان الأخطار المنعكسة على الإنسانية وأما المظهر الإيجابي فيمكن توضيحه باللجوء إلى الحلول التي قدمها كل من أولرش بيك وأنطوني غيدنز بدعوتهما إلى بناء مجتمع وسياسية عالمية، ولا نستبق الحلول المقترحة بل نؤجلها للعنصر الأخير. أما الآن يتعين علينا معرفيا الوقوف على أهم ثلاثة صفات رئيسة للازمات الإيكولوجية رغبة منا في توضيح الطابع العولمي لها وما يمكن أن تخلقه من أزمة وأفق في الوقت ذاته.

فكت المخاطر الإيكولوجية سياجات المكان والزمان للحدث الأولى ومركزيتها الغربية ما سمح بعبورهما إلى مجتمع المخاطر العالمي حيث تتجلى سلبيات التحديث الإيكولوجية بأشكالها الإجتماعية والسياسية ذات الميزة المعولة، ويجد أولريش بيك أن هذه الميزة فكت أيضا التمرکز. والذي نسجل معه العجز عن تحديد المسؤول عن إحداث الازمات الإيكولوجية على مستوى عالمي ويسحب منا معايير التكميم والحسبان.

2. الازمات الإيكولوجية نحو إعادة توزيع المسؤولية:

أدت صفتي: اللاتحدد والإحتمالية إلى صعوبة القبض على المخاطر المعولة يقول أولريش بيك في هذا الصدد ما نصه: " ليست الأخطار أغراض وأشياء،

لكنها بناءات اجتماعية، تلعب فيها المعرفة التقنية – لكن القيم والرموز الثقافية دورا عظيما " ¹⁷ يعبر هذا القول عن مدى فاعلية المخاطر العالمية المتمثلة في قدرتها على الإفلات من مقولتي الزمان والمكان إذ هي ليست أغراضا وأشياء نراها ونلمسها، إنها تدخلنا في حالة "عدم اليقين".

يضيف أولريش بيك وأنطوني غيدنز أن الأزمات الإيكولوجية تتميز برفع المسؤولية عن جهة معينة دون غيرها بناء عليه فغياب المسؤولية ¹⁸ والتي تمنعنا من أن ننسب المخاطر العالمية إلى مكان وزمان واحد؛ مما يوضح أن المخاطر العالمية تتميز أيضا ب: عدم التمرکز، فرغم انبثاقها من مجتمع المخاطرة أي الحداثة الأولى و يؤكد بيك على هذه الفكرة قائلا: "فهي لا تصيبنا كقدر ومصير بل نحن من صنعها، أي أنها منتج من صنع الإنسان وفكره ، ونشأت من العلاقة بين المعرفة التكنولوجية وحساب المنفعة الاقتصادية" ¹⁹ فحالة الحداثة دائما في مضاعفة للمعرفة والتقنية التي يمكن النظر إليها في هذا السياق كسلاح ذو حدين فهي من حد إيجابي تتماشى ومتطلبات العصر أي عصر العلم والتقنية، أما من حد سلبي فهي لم تهذب نتائجها مما ولد مخاطر انعكست على العالم ، هذه الوضعية استدعت نقاشات حول قيمة العلم وانعكاساته .

إن عدم تمرکز المخاطر العالمية الإيكولوجية يطبعها بطابع الهلامية بحيث تخرج عن معيار الحساب والتقدير ؛ فلا يمكننا تكميم مالا يقبل التحدد، والأهم أن الميزات التي تطبع المخاطر العالمية الإيكولوجية طرحت إشكالا له

¹⁷ أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 392.

¹⁸ أولريش بيك، هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية، أبو العيد دودو ، منشورات الجمل، ط1، كولونيا، 2001، ص 44.

¹⁹ أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 64، ص 65.

أهمية كبيرة يدور حول قيمة السياسة ويتمثل في : كيف تعيد السياسة برمجة استراتيجياتها كي تستطيع إدارة المخاطر العالمية ؟

تفرض إدارة المخاطر العالمية على الدول أن تبرز وجودها وفعاليتها ما إذا استطاعت التماشي مع طبيعة المخاطر العالمية، وذلك بفهم ميزاتها وانعكاساتها على السياسة والتي تعتبر قمة الأنظمة في المجتمع ، إن الإدراك السياسي لمدى خطورة انعكاسات المخاطر العالمية سواء على البيئة أو الاقتصاد أو الأمن أو الأسرة ففي كل أشكال انعكاساتها تشكل تهديدا على السياسة أو بتعبير أولريش بيك يصبح كل شيء سياسي. فما إن نتحدث عن أزمة ايكولوجية كإنفجار مفاعل نووري تكون مخاطره عابرة لحدود الدولة القومية ، أو حدوث عملية إرهابية تفجيرية فإن الخوف من إمكانية حدوث هذا الفعل في أي بقعة من الأرض يكون واردا في كل وعي اجتماعي وسياسي ، وحتى في أبسط مثال يبدو شخصا عندما تحمل امرأة الهاتف لإجراء مكالمة مع رجل من دولة خارجية للمناقشة في مشروع زواج مختلط أي بين هويات مختلفة، فإن هذا الفعل يترجم سياسيا تعويض المفهوم التقليدي للمواطن بمعنى جديد للمواطنة هو : "المواطنة العالمية"²⁰، فالأخطار تعبر الحدود بشكل غير مدرك أو غير مدرك، مقصود أو غير مقصود ، فهي تختفي في الماء والهواء ، ويتم نقلها بالشاحنات أو السفن، "الأخطار" منتجات طفيلية"، يمكن لنا أن نبتلعها أو أن نتنفسها في الوقت نفسه مع أشياء أخرى....فهي تسافر مع الهواء والماء. وبإمكانها أن تكون حاضرة في أي مكان"²¹بالإضافة أن الأمر قد يرتبط "بهاربين من الأخطار"، و"لاجئين بسبب أخطار" " مما يرتبط بمشكلة " الهجرة الدولية" ...الخ. لربما

²⁰ أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، المكتبة الشرقية، ط1، بيروت، 2009، ص 106. ²¹ أولريش بيك، هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية، مصدر سابق، ص 84.

تتضح الآن طريقة اجتياح العولمة للدول وتغيير أسسها واستراتيجياتها؛ سبب ذلك راجع لعجز الدول بمعناها القومي على احتواء المخاطر العالمية وتعويض المواطنين عن خسائرها "إن الإعتقاد بأن المجتمع العصري يمكنه التحكم في الأخطار التي يتسبب فيها، اعتقادا قابلا للدحض"²² فما كان على الدول إلا انتهاج حلا أخلاقيا وما على المجتمع إلا توطيد العلاقات للناس فيما بينهم للتعایش مع المخاطر العالمية.

إذن ينتهي أولريش بيك وغيدنز إلى الإقرار بأنه لا يمكن إدارة المخاطر والتحكم بها نظرا لطبيعتها ومميزاتها²³ فرجال السياسة لا يمكنهم وقف المخاطر العالمية يقول بيك عنهم مايلي: "وهم مضطرون نوعا ما إلى الإعلان عن الحفاظ على توفير مستوى الأمان على الرغم من أن مثل هذا الضمان غير ممكن"²⁴ ففي "مجتمع المخاطر العالمي" فقد الأمان وجوده القومي ولم يعد من الممكن الحفاظ عليه أو الوعد به كما فعلت الحداثة الأولى: "فالأخطار التي تهدد العالم وقحة وغير هيابة، لا تعرف لها حدود ولا تعترف لا بسيادة ولا سلطة سياسية ولا حكم"²⁵ فعندما حذر أولريش بيك من المخاطر وحكم بفسل الدول القومية عن إدارتها لم يعلن غياب الدول وسقوطها بل طالب بإعادة تنظيم السلطة والصلاحيات والإستراتيجيات وتجديد ذاتي للسياسة.

رابعاً. التنوير الإيكولوجي أو الطريق الثالث.

1. تشكل التعاون الإجتماعي والسياسي كأفق للخروج من الأزمات الإيكولوجية:

أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بختنا عن الأمان المفقود، مصدر سابق، ص 31. 22

المصدر نفسه، ص 104. 23

المصدر نفسه، ص 107. 24

المصدر نفسه، ص 296. 25

تشير مرحلة التنوير الإيكولوجي إلى نضج فكري اجتماعي وسياسي إذ تطالب بإعادة بناء ذاتي بتجديد طريقة التعامل مع الأزمات الإيكولوجية، التي سبق وأن اتفقا على طابعها العولمي غير القابل للتحدد واللامتمركز والمفتوح على الإحتمال. وذلك من خلال إبرام عقد اجتماعي جديد يتسم بروح التعاون والتضامن والتقارب بين الذات وبين الدول والذي تشكل بسبب القلق من الأزمات الإيكولوجية العالمية التي وضعت الإنسان في موقع الخطر والقلق من تهديد السياسة.

نسجل عملية تحول في الوعي كما في الواقع الفعلي حيث تتغير معها هوية الإنسان من مواطن الحداثة إلى مواطن عالمي ومن سياسة قومية إلى سياسة عالمية، يتكافل فيها المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية والسياسات الدولية من أجل طرح مواضيع ومناقشات حول الأزمات الإيكولوجية وتنقيح طرق راهنة مناسبة للتعامل مع مخاطر إيكولوجية راهنة ومستقبلية، علما أن هذا الوعي للتوجه نحو الكوسموبوليتية وصفه أولريش بيك بالتنوير القسري الإيكولوجي ؛ فهو تنوير يختلف عن تنوير الحداثة الأولى فإذا كان تنويرها يهدف إلى تحرير الإنسان من اللاهوت والتقليد فإن تنوير أولريش بيك نابع من إدراك الإنسانية لموقعها المهدد بسبب الأزمات الإيكولوجية وهو تنوير قسري ذلك أن المجتمع الإنساني والدول مجبرة ومضطرة لاتباع الطريق الثالث بتعبير غيدنز وهو الطريق الكوسموبوليتي. فليس لها الخيار سوى اللجوء إلى التعاون والتضامن العالمي كأفق يعاد من خلاله دمج ضحايا الحداثة الغربية سواء أكان هؤلاء الضحايا أفرادا أو جماعات مدنية أو رجال وكيان سياسي، يتوجه فيه النداء الكوسموبوليتي لكل سكان الأرض كفضاء حياتي يتحرك فيه الفعل

الأخلاقي لبناء أخلاق عالمية، بدلا من التوجه إلى التفرقة والصراعات فبتوجيه وتفعيل الكوسموبوليتية حيث يعاد نحت مفهوم جديد للسياسة؛ التي تنتقل من الإطار القومي المنغلق إلى سياسة عالمية منتعشة وفعالة. وتعاد زخرفة الحدود الاجتماعية والثقافية فيما بين متعددي الثقافات والإثنيات لتتشأ روابط مواطنة عالمية²⁶ تعمل على توسيع حقل الممارسة السياسية وتوطد العلاقات البين ذاتية كحل جزئي مؤقت للتعامل مع الأزمات الإيكولوجية الراهنة.

رابعا. تحليل النتائج:

تشير النتيجة الرئيسة في هذه المقاربة إلى أن التقدم العلمي التقني للحدثة الغربية يعد السبب الرئيس للأزمات الإيكولوجية؛ فالحدثة عبر مشروعها العلمي والرغبة المتزايدة في ترويض الطبيعة والتحكم بها نتجت عنه أثار سلبية على المجتمع الإنساني ككل هذا ما إتفق عليه كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز. لكن هذا الإعتراف بمصدر الأزمات الإيكولوجية لا يكفي للتقليل من مخاطرها وإنعكاساتها السلبية على مجتمعنا؛ ذلك أن البيئة كانت ضحية في سبيل التكنولوجيا والإقتصاد؛ فالعالم اليوم محكوم بالقوة وليس بالأخلاق البيئية، كما أن مشروع التقدم العلمي لزال يؤكد راهنيته ومواصلة صيرورته. فما يمكن قوله أمام هذا الوضع أننا أمام فجوة أخلاقية وأزمة شرعية الحدثة العلمية والسياسية فكيف يمكن تلافي كل هذه الشروخ؟

أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، مصدر سابق، ص 104. ²⁶

خامسا. الخاتمة:

نجد في هذه المقاربة السوسيو فلسفية بين أولريش بيك وأنطوني غيدنز للأزمات الإيكولوجية الراهنة نقدا جذريا للحدثة الغربية. المنعكسة في شكل أزمات إيكولوجية تصعدت إلى مستوى عابر للقوميات والثقافات ومتجاوز لمعايير التحكم والإدارة السياسية. وما يفيد في هذه المقاربة هو درجة عالية من الوعي الذي ساهم في تحقيقه كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز.

من الصعب رسم حدود فكرية بين موقف أولريش بيك وأنطوني غيدنز من الأزمات الإيكولوجية فما يمكن تسجيله سوى بعض الفروقات ذات الدلالية المفاهيمية ، أما من حيث المضمون لا نبالغ القول أبدا إذا اعتبرنا أنطوني غيدنز خير تابع قارئ لفلسفة أولريش بيك، والذي فتح باب إكمال وتطوير هذا المشروع السوسيو فلسفي الذي لزال يؤكد راهنيته والحاجة إلى دراسته والإجابة عن تساؤلات العالم اليوم.

لقد نجح كل من أولريش بيك وأنطوني غيدنز في وصف وتحليل الأزمات الإيكولوجية وتبيان درجة خطورتها على المجتمع الإنساني والسياسة مبينا

تناقضية العقل الحداثي الذي أنتج الفوضى والأزمات العالمية، ثم ألجا على ضرورة التوصل إلى منفذ مؤقت كوسمبوليتي؛ فذلك لا يعني التوصل إلى حل قطعي للأزمات الإيكولوجية يخلق عالما من الأمان والعقلانية، فلا يمكن وقف سيرورة التحديث الغربي التي دائما نجدها في حالة مضاعفة سلطة العلم والتقنية ولا إدارة أزماته ومخاطره بشكل قطعي. ليبقى العالم نسبي الأمان ومفتوح على الإصابة بأزمات ومخاطر الحداثة الغربية. وما يمكن التعقيب عليه أن الحلول المقترحة تبدو مثالية فالحل الكوسمبوليتي لن يشفي العالم من الاثار السلبية الإيكولوجية. فهل ستتجه الحداثة الغربية إلى تدمير البيئة وتدمير ذاتها أم أنها ستركن إلى حلول جذرية تطمئن العالم وتجعله سعيدا كما وعدت به في مشروعها التنويري الحداثي؟

سادسا. المراجع:

- 1- .أنطوني غيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية، شوقي جلال، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002.
- 2- أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود، علا عادل هند إبراهيم بسنت حسن، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط1، 2006.
- 3- أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، جورج كتورة، إلهام الشعراني، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2009.
- 4- أولريش بيك، هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية، أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2001.